هدي النبي ﷺ في الأزمات

تأليف
د. عبدالرحمن بن علي بن محمد العسكر

ح

هدي النبي ﷺ في الأزمات

تأليف
د. عبدالرحمن بن علي بن محمد العسكر

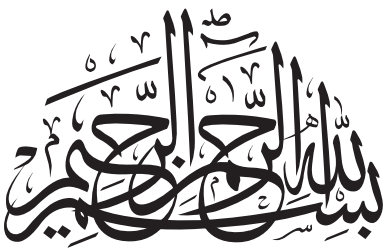

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن المؤمن يعيش في هذه الدنيا متقلباً في نعم الله تعالى، ليستغلها في طاعته سبحانه وعبادته، وحمده وشكره، لكن قد يعزب عن ذهن المؤمن في بعض المواقف بعض الأصول التي يجب عليه الاعتصام بها.

ومن ذلك أن النجاة من كل أزمة أو محنة أو ملمة تنزل بالعبد هو الالتزام بالهدي النبوي، وأن ذلك ينبغي أن يكون في كل أحواله.

ولذلك رأيت كتابة بعض المعالم في هدي النبي ﷺ في تعامله مع الأزمات، التي مرت به، أو بالمجتمع في المدينة، أو ببعض الصحابة، جعلتها على سبيل الاختصار، لتكون سهلة في فهمها وتدارسها، واسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب في القول والعمل، وأن يرزقنا الاقتداء بنبينا محمد ﷺ في كل شؤوننا، والحمد لله رب العالمين.

مدخل

يقول الله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩-٢١].

هاتان الآيتان الكريمتان أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، الذي كان موقفاً عصيباً، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه ﷻ، وصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وإنما أكَّد الله ﷻ على الأمر بالتأسي بنبيه محمدٍ ﷺ؛ لما سيعقبه من ذكر لموقف عظيم، يتبين في مثله التأسي الحقيقي بالمصطفى ﷺ، وهو موقف اشتدت فيه الأزمة بالمؤمنين.

فالتطاوع لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ؛ إنما يظهر على حقيقته وقت الشدة، أما وقت الرخاء فالكلام سهل.

والصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى ، كما جاء في الحديث[١].

ولأجل ذا في هذا الموضع يقول الله تعالى، للذين قلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الأحزاب: «﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٩-٢٠]» أى: هلَّا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟

ثم بيَّن أنه مَن فَعل ذلك ـ وهو الاقتداء برسول الله ﷺ ـ فإنه يعتبر دلالة على ارتباط الشخص بالله ﷻ، ولهذا قال: «﴿الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ﴾».

فالنبي ﷺ هو قدوتكم في كل شؤونكم، في رخاءكم وفي شدتكم، في فرحكم وفي حزنكم، إن كنتم صادقين في إيمانكم بالله، ورجائكم موعوده يوم القيامة، وارتباطكم به ﷻ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب الصبر عند الصدمة الأولىٰ من حديث أنس رضي الله عنه (١٣٠٢) عن النبي ﷺ أنه قال: (الصبر عند الصدمة الأولىٰ).

ولقد تجلت حكمة الرسول ﷺ في هذا الموقف، وأنتجت لنا قيماً خالدة فى إدارة الأزمة نحن فى أمس الحاجة إلى التأسي بها الآن.

ولذلك سأكتفي هنا: بذكر نماذج من بعض الأزمات التي مرت في عهده ﷺ، وكيف تعامل معها، بصفة عامة، لنستقي منها الهدي فيما يمر بنا من أزمات.

أنواع الأزمات التي تمر بالإنسان

من المهم معرفة معنى الأزمة، التي نرغب استلهام المعالم النبوية فيها، فالأزمة في اللغة: هي الشدَّة والضيق[١].

ومعناها الاصطلاحيَّ في علم الإدارة يخصصها لمفهوم أضيق، وهو ما نريد الحديث عنه، فالأزمة التي نعنيها، هي: حالة يواجهها صاحب القرار (في بلد أو مؤسسة أو جماعة أو أسرة..) تتعقد فيها الأمور بشكل مفاجئ، فيفقد معها القدرة على السيطرة عليها أو على نتائجها المستقبلية، أي أنَّ الأزمة لحظة حرجة يواجهها صاحب القرار، يصعب عليه اتخاذ قرار حيالها على النحو المعتاد، وتضعه في مأزق القدرة على الاختيار والحسم في القرارات، وهذا المأزق يضغط عليه بشدة لاتخاذ قرار يخفِّف عنه الضغوط النفسية الناجمة عن وجود هذه الحالة المقلقة[٢].

لذلك تتنوع الأزمات التي قد تمر بالشخص: أزمة في دينه، أزمة في نفسه، أزمة في أسرته، أزمة في بلده، أزمة في تعامله مع الناس، أزمة في عمله.

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (أزم) (١٢/ ١٦).

(٢) انظر: إدارة الأزمات د: محسن الخضيري، دار النيل(١١٥).

وجميع تلك الأزمات مرَّت على عهد النبوة، وعاشها بعض الصحابة ﷺ، وهم خير الخلق بعد أنبياء الله ورسله، وعايشوا نزول الوحي، ومع ذلك عالج النبي ﷺ تلك الأزمات، كل أزمة بما يناسبها.

معالم في هدي النبي ﷺ
في معالجة الأزمات

- حسن التعامل مع الأخبار:

أكثر ما يزيد من الأزمة التي تقع بالمرء ـ بل إنها تزداد زيادة كبيرة وقت الأزمات ـ هي كثرة الأخبار، وكثرة القيل والقال، ولذلك فأفضل علاج لهذه الأمور هو حسن التعامل مع الأخبار وقت الأزمات، وهو أحد المعالم التي سلكها النبي ﷺ في بعض الأزمات.

ومن أظهر الأمثلة على ذلك: ما جاء في قصة نقض اليهود العهد مع رسول الله ﷺ.

فقد سمع النبي ﷺ بنقض يهود بني قريظة للعهد، وهو في شدة الأحزاب، والجيوش قد تجمعت حول المدينة، وقد زاغت من المؤمنين الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، فأرسل السعدين؛ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم يستطلعون الخبر، وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم، فتنظروا أحقٌ ما بلغنا عنهم، فإن كان حقًا، فالحنوا لي لحنًا أعرفه [أي: ورُّوا بكلامكم تورية أفهمها عنكم دون غيري]، ولا تفتّوا

في أعضاد المسلمين، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس»، فخرجوا حتى أتوهم واستطلعوا الخبر، ثم أتوا رسول الله ﷺ بخبر بني قريظة، وأنهم قد نقضوا العهد، وكَنَّوا بذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «الله أكبر...، أبشروا يا معشر المسلمين»![1].

فأيُّ أزمة تمر بالإنسان إنما تبدأ من خبر.

لذلك فأول ما ينبغي أن يهتم به المؤمن، هو: التوثق من الأخبار والتحقق منها، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحُجرَات: ٦].

فالتعامل الشرعي مع الأخبار وقت الأزمات يكون بشيئين:

التوثق من الخبر.

ثم عدم إشاعته، إذا كان فيه شر، سواء لفرد أو لجماعة.

فمن الأخبار ما يكون صحيحًا في ذاته، لكنه غير صالح للنشر، ثم ما كان منها صالحًا للنشر فلا يصح أن ينشر بصورة ترعب المسلمين وتزيد من وجلهم.

---

(١) روى القصة بهذا اللفظ البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن ابن إسحاق (٣/ ٤٢٩).

ومن الأمثلة من تعامله ﷺ على مبدأ التثبت في الأخبار عند ورود أزمة: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع خبر وفاة النبي ﷺ لم يتكلم بكلمة، حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجَّى، فتأكد بنفسه ثم خرج على الناس فتكلم[١].

(١) روى القصة البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤١).

التأني والتريث
في التصرف في الأزمة

من أخطر ما يواجه الشخص ـ أيـًّا كان موقعه ـ عند حصول الأزمة ـ أيـًّا كان نوعها ـ عدم قدرته على ضبط مشاعره وتصرفاته، لذلك فإن أول ما ينبغي عليه:

أ - أن يملك نفسه، وليتجلد، فإن ظهور الضعف أو الوجل عليه، يُفرِحُ العدو، ويَفُتُّ في عضد الصديق والصاحب، وإنما تظهر قوة الشخص في مثل هذه المواقف.

ب - أن يتأنى في النظر في الأمور، فغالب ما يصاب به المرء وقت ورود الأزمة عليه: طَيَشَان عقله، فلا يدري ما يفعل، ولذلك فإن أهم ما ينبغي للمرء، هو: التأني في النظر في أمره، فإن الأزمة في غالبها لا تأتي دفعة واحدة، ولذلك يحتاج من تقع عليه الأزمة أن ينتظر، حتى تتبين له وتظهر.

ت - أن يتريث في الحكم على أزمته وعلاجها، لأنَّ ما يمر به المرء حال الأزمة قد يُفقده بُعدَ النظر في الأمور، ومعرفة العواقب، وما يتوقعه علاجاً لأزمته قد يكون سبباً في تأجيجها، وزيادتها، وبخاصة إذا كانت

الأزمة منطلقة من أفراد أو أعداء، فإنهم في غالب الأمر ينتظرون ردود الأفعال من الطرف الآخر.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» أخرجه البيهقي وحسنه الألباني.(١)

وأعظم الأمثلة على التأني والتريث في التصرف حال الأزمة من هديه ﷺ قصة حادثة الإفك، فكلها دروس وعبر في كيفية تعامل الإنسان مع الأزمة التي تمر به، لأنها ليست أزمة واحدة، بل أزمات:

اتهمت زوجته ﷺ ورضي الله عنها وأرضاها.

وكاد يقتتل الصحابة رضي الله عنهم بسبب ذلك.

وانقطع الوحي عنه ﷺ.

لذلك، فإن أعظم ما فيها من دروس: أنها درس عظيم في التأني في الحكم على تفاصيل الأزمة التي قد تقع بالإنسان، فالنبي ﷺ تأنَّى في أمور:

تأنَّى ﷺ في إثبات التهمة تجاه زوجته عائشة رضي الله عنها.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب أدب القاضي باب التثبت في الحكم (٢٠٢٧٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٩٥).

وتأنَّى ﷺ في التعامل مع الأمر، حيث استشار علياً وأسامة بن زيد وبريرة رضي الله عنهم.

وأعظم من ذلك أنه تأنى في إخبار زوجته عائشة رضي الله عنها بشيء مما يدور في المجتمع، فهي تقول (قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي)[1].

وهذا الأمر الأخير، في حقيقته درس للناس، الذين يتعاملون مع من وقعت عليه أزمة، أن لا يتسببوا في تأجيج الأزمة، بنقل الكلام، سواء بين الناس، أو لمن وقعت عليه الأزمة، ولذلك فالنبي ﷺ لم يكن يخبر عائشة رضي الله عنها بما يدور بين الناس، وما يقولون عنها، وإلا فلو أخبرها: لكان ذلك سبباً لتأجيجها، أو زيادة الأزمة على عائشة رضي الله عنها.

(١) قصة حادثة الإفك رواها غير واحد منهم البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) (٤٧٥٠).

بث الأمل في النفوس
وتغيير أحوال الناس

أكبر ما يصاحب الأزمة التي تقع بالإنسان أو بالمجتمع، هو: انتشار الخوف، والترقب بين أفراد المجتمع.

ولذلك فأعظم ما ينبغي على الشخص، ـ وبخاصة إذا كان صاحب قرار أو مسؤولية في البيت أو المجتمع ـ أن يسعى لإزالة الخوف والترقب من أنفس الناس، حتى تستقر الأنفس، وتهدأ العقول، ويستطيع المرء علاج أزمته.

فهذا المقصد والمَعلم من أبرز ما كان يتعامل به النبي ﷺ مع الأزمات، وخاصة في الأزمة العامة للمجتمع.

وأروع مثال على هذا المقصد من فعل النبي ﷺ، هو قصة الصوت الذي سمعه الناس في المدينة النبوية، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً، قال: فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عُريٍّ، وهو متقلد سيفه، فقال : (لم تُراعُوا، لم

تُراعُوا)، ثم قال رسول الله ﷺ: (وجدته بحراً) يعني الفرس[١].

فالنبي ﷺ تعامل مع هذه الأزمة التي نزلت بالمجتمع، وهي سماع صوت أفزع أهل المدينة، بعدة أمور، كل أمرٍ كافٍ لوحده لمعالجة الأزمة، وهي ثلاثة أمور:

الأول: أنه لما سمع الصوت سبقهم إليه، ليتحقق بنفسه من الواقعة، وليدافع عن المسلمين بنفسه، ولهذا وصفه أنس رضي الله عنه بأنه أشجع الناس، فأي شجاعة أعظم من ذهابه لصوتٍ لا يعرف ما هو، وهنا تظهر أهمية الحاكم، وتأثيره في وحدة المجتمع، وخوفه على أفراد مجتمعه.

الثاني: تهدئته للناس لما قابلوه، يبحثون عن الصوت، بقوله: (لم تُراعُوا لم تُراعُوا)، يعني لا يوجد شيء يخيفكم فترتاعون منه، فقد وقفت عليه بنفسي، ومقصده من ذلك إزالة الخوف الذي لحق بالناس، بسبب سماعهم لهذا الصوت، وهكذا يجب على من ولَّاه الله ولاية، أو مسؤولية، أن يكون حريصاً على طمأنة الناس وتهدأتهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب إذا فزعوا من الليل (٣٠٤٠).

الثالث: وهو أعجب الثلاثة، وهو مرحلة مهمة من مراحل علاج الأزمة، وهو نقلهم عن حالهم التي هم عليها إلى حالة أخرى، لينشغلوا عن الأزمة ومسبباتها، ولذلك قال ﷺ: (وجدته بحراً)، ومعنى ذلك: أن النبي ﷺ من عجلته للتحقق من الصوت؛ وجد في طريقه فرساً لأبي طلحة ﷺ، قد تركه، لأنه هزيل لا ينتفع به، تسبقه الخيل، لكن لبركة النبي ﷺ تحوَّل إلى فرس سريع لا يُسبَق، والعرب تصف السريع بالبحر، لقوته وسرعته، فقال ﷺ (وجدته ـ أي الفرس ـ بحراً) يعني سريعاً بخلاف ما تظنون، ولذلك ورد في بعض روايات القصة: أن الناس انشغلوا بهذا الفرس وتَغيُّر حالُه، عن متابعة تفاصيل أزمة سماعهم صوتاً في الليل، وهذا من حسن سياسته ﷺ للرعية، أن ينقلهم من الخوف إلى الأمن، ومن الترقب إلى الطمأنينة، ومن القلق والفزع إلى الأمل والراحة.

ومن عجيب تعامله ﷺ مع الأزمة، وسعيه لنقل الناس عنها، وإشغالهم بغيرها، ما ورد في إحدى غزواته ﷺ، لما بلغه قول عبد الله بن أبى بن سلول في حق المسلمين: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر؟ إذا تحدَّثَ الناس: أن محمداً يقتل

أصحابه؟!»[(١)]، وجاء في رواية: فذكره للنبي ﷺ، فأمر أن يؤذن في الناس بالرحيل ليشتغل بعضهم عن بعض[(٢)].

فهنا ظهرت حكمته ﷺ في معالجة الفتنة، وإخماد نيرانها قبل أن تشتعل، حيث وجههم إلى الرفق واللين، من أجل أن يخمد الشر، قبل أن ينتشر كالنار في الهشيم.

ثم أمر أصحابه بالرحيل، في وقت ليس من عادته الرحيل فيه، ليشغلهم بالترحال عن حديث الفتنة فيئدها في مهدها.

(١) رواها بلفظ قريب من هذا اللفظ البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) (٤٩٠٥).

(٢) رواها عمر بن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٢٧٤).

التعود على الصبر

المؤمن يعلم أنه في هذه الدنيا يبتلى، بأنواع البلايا، اختبارًا من الله، يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢-٣٣].

كثير من الأزمات تحتاج إلى الصبر، ثم تذهب، أو هي في ذاتها مقتضية للصبر.

وقد مرَّت أزمة بأحد الصحابة وهو خباب بن الأرت رضي الله عنه فأمره النبي ﷺ بالصبر، ففي صحيح البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليَتِمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإكراه باب من اختار القتل والضرب والهوان على الكفر (٦٩٤٣).

فمع أن خباباً جاء يشكو إلى النبي ﷺ أزمة وقعت له في دينه، وأذية المشركين له، إلا أن النبي ﷺ أمره بالصبر، لتظهر النتيجة للناس عامة، في ظهور هذا الدين وقوته، فكأنه قال: اصبروا، ليفوزوا غيركم، ممن سيأتي بعدكم، بقوة الدين وعلو شأنه، وتفوزا أنتم بصبركم، رفعة عند الله تعالى.

وأعجب من ذلك: أن النبي ﷺ أبعد بخباب رضي الله عنه الأمل، وأن لا ينظر إلى وضعه الحالي، بل ينبغي له أن يحتسب كل ما يصيبه في سبيل دينه؛ انتظاراً لأثر عظيم يحصل للأمة بكاملها، وأن لا يستعجل خباب ظهور النتائج.

ومن الأمثلة على هذا المَعْلَم، وهو الاعتماد على الصبر في علاج الأزمات: أن امرأة شكت إلى رسول الله ﷺ أنها تُصرَع، فأمرها بالصبر ولها الجنة، يقول عطاء بن أبي رباح، قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ، قالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها[1].

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح (٥٦٥٢).

وإذا تكلَّف العبد الصبر واستدعاه صار سجية له، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال: «ومن يَتَصبَّر يُصبِّره الله»[١].

فالمسلم في بعض أحواله، وبخاصة وقت أزمته، لا يستطيع إلا الصبر، لأنه يُغلَقُ عليه في تدبير أموره.

وليس عيباً الصبر، فالصبر عبادة، هذا وقتها: عند نزول الأزمات، بل الصبر سمة المؤيَدين من الله، ففي البخاري وغيره عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما قَسَمَ النَّبيُّ ﷺ قسمة حنين، قال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أراد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغيَّر وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[٢].

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله (٦٤٧٠).

(٢) رواه البخاري في الصحيح كتاب المغازي باب غزوة الطائف (٤٣٣٥).

النظر في عواقب الأمور

عند الأزمة يطيش عقل الإنسان، ولذلك أمرناه بالتأني، وأمرناه بحسن التعامل مع الأخبار، ومن أهم ما ينبغي له وقت الأزمة أن لا يكون نظره قاصراً على وقته الراهن حال وقوع الأزمة، بل ينبغي أن ينظر في عواقب الأمور التي يريد فعلها، وما سيؤول إليه تعامله مع الأزمة.

وقد مرَّ معنا وصية النبي ﷺ لخباب رضي الله عنه حال أزمته، وإخباره بما سيؤول إليه أمر الإسلام لو صبر على تعذيب المشركين وأذيتهم له.

ويقول عمرو بن العاص: لما سئل: مَنْ أَصْبَرُ النَّاس؟ قال: مَنْ كان رأْيُهُ رَادًّا لِهواهُ[1].

ومن أمثلة هديه ﷺ في النظر في عواقب الأمور عند معالجته للأزمات، ما جاء في حادثة الإفك حيث لم يرغب النبي ﷺ محاسبة عبدالله بن أبيٍّ، مع تَخوُّضِهِ في أمر عائشة رضي الله عنها، بل خَطَبَ الناس ليجعل الحكم في هذا الموضوع عاماً للناس كلهم.

---

(١) ذكر هذا القول لعمرو بن العاص غير واحد، منهم البلاذري في كتابه أنساب الأشراف (٥/١٦).

وفي قصة عبد الله بن أبيٍّ لما سبَّ النبي ﷺ، وأراد عمر رضي الله عنه قتله فقال: (فكيف يا عمر، إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

وأعجب من ذلك: ما جاء في قصة النبي ﷺ لما دعى أهل مكة، ولم يستجيبوا له، ومع شدة ما أصابه وتأزُّم أمره، جاءه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأذنه أن يُطبقَ على أهل مكة الأخشبين، لردهم دعوته، فقال ﷺ للمَلَك: (لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله)[١].

فأيُّ نظرٍ للعواقب أعظم من هذا النظر، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلَت: ٣٥].

ومن معالجته لأزمة أحد الصحابة التي وجدها مع زوجته ما جاء عند أبي داود في السنن عن لقيط بن صبرة قال: قلت: يا رسول الله إن لي امرأة، وإن فى لسانها شيئاً، يعنى البذاء، قال ﷺ «فطلِّقها إذاً»، قال: قلت: يا رسول الله، إن لها صحبة، ولي منها ولد، قال «فمُرْها - يعني عِظْها - فإن يكُ فيها خيرٌ فستفعل» وفي رواية: « فسَتقبَل»[٢].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم في الأرض آمين... (٣٢٣١).

(٢) رواه أبو داود في السنن كتاب الطهارة باب في الاستنثار (١٤٢) كما رواه أحمد في المسند (١٦٣٨٤).

فنظر لقيط في عاقبة الطلاق، وأنه سيؤول إلى أزمة أعظم من أزمته التي هو فيها، فسيفقد صحبتها له التي عاشها معها، وما بينهما من ولد، فدلَّه النبي ﷺ على علاج آخر، وهو الوعظ والنصح.

وهكذا المؤمن في علاجه لأي أزمة تمر به، ينبغي أن ينظر في عواقب الأمور ومآلاتها، فما قد يصلح علاجاً ـ في نظر الشخص ـ قد يؤول في النهاية إلى ضرر، وأزمة أعظم من أزمته التي هو فيها، فلا بد أن يبحث عن علاج لا يؤول إلى ازدياد الأزمة، أو تطويل أمدها، والله سبحانه يهدي من يشاء من عباده إلى القول الفصل عند المضائق.

الخاتمة

فهذه الأمور التي أفضنا في الحديث عنها: ما هي إلا نماذج من هديه ﷺ في تعامله مع الأزمات المتنوعة، التي عرضت له أو لأصحابه، فما أحوج المؤمن الحق للتأسي بالنبي ﷺ في كل ذلك.

اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، وألهمنا رشدنا، واعصمنا من الزلل، وألهمنا الرشد في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
مدخل ٧
أنواع الأزمات التي تمر بالإنسان ١٠
معالم في هدي النبي ﷺ في معالجة الأزمات ١٢
التأني والتريث في التصرف في الأزمة ١٥
بث الأمل في النفوس وتغيير أحوال الناس ١٨
التعود على الصبر ٢٢
النظر في عواقب الأمور ٢٥
الخاتمة ٢٩
فهرس الموضوعات ٣١